مسرحية

الأقنعة

محمد عبد الجليل قنيري

إخراج : حسن ابراهيم حسن

المنظر : (المسرح مظلم إلا من دائرة ضوء في مقدمته ، يظهر فيها المتهم جالسا وفي يديه ورجليه قيد من حديد يسمع رنينه عندمايتحرك)

المتهم : (لنفسه ... تبدو عليه آثار التعذيب . يتكلم في مرارة) قيل إنني من تسلق قصر مولانا السلطان وكانت معي سهام مسمومة ..وقال آخرون إنه رمح .. وأكد البعض أنني كنت أمتشق سيفاً بتاراً . وأنني كنت بسبيل إعادة قتل مولانا السلطان بعدما فشلت محاولتي ليلة البارحة..إذ أخطأه سهمي ... أشياء كثيرة تواردت علي في يومي هذا ..ولو لم تكن آثار التعذيب (يشير إلى جسمه) تواصل وخزها ، لقلت إنها أضغاث أحلام ...

الأهالي : (صياح ... صراخ ... هرج ... أصوات ... إحتجاج ... ترى أصحابهافي الجانب الأيسر من المسرح خلف شباك من شبابيك السجن وهو غير ثابت .. بحيث يستطيع المحتجون أن يغيروا مكانهم إلى مكان آخر .. وتظهر الأضواء عليهم بالتدريج إلى أن تغمر الجانب الذي هم به كلية .. بحيث يكون ظهورها مصاحباً لإختفاء الضوء تدريجياً عن المتهم الذي يقف ثابتاً في مكانه)

رجل (١): الموت للمجرم الخائن

البقية : (يرددون وراءه) الموت للمجرم الخائن

رجل (١): المجد والخلود لمولانا السلطان

البقية : المجد والخلود لمولانا السلطان

المتهم : (تعود إليه الإضاءة كما كانت وتختفي عن الجماعة الذين يجب أن يتحركوا ناحية اليسار قليلاً دلالة على استمرار مظاهرة الإحتجاج من قبل أهالي آخرين..ويستمر المتهم في كلامه وكأنه لم ينقطع) كنت مثل الكثيرين أسعى جاداً لتوفير لقمة الخبز لي و لزوجتي وأولاي القُصّر أمي العجوز الضريرة .(ينهض ينظر هنا وهناك) كنت أحلم باليوم الذي ننال فيه جميعاً خبزاً يشبع جوعنا ،أما عن اللحم .. فقد سمعت من أمي التي تفاخر كثيراً بأن أبي كان

قد ذبح شاة في يوم زفافهما..لذلك فأنالاأعرف طعمه ولاأفرق بين رائحته ورائحة أي شيء آخر يكون ميسوراً لأمثالنا.

الأهالي : (تعود الأضواءعلى الأهالي خلف شباك من شبابيك السجن المتحركة وهم يواصلون إحتجاجهم).

رجل (٢): دعونا نأخذ بثأر مولانا بأيدينا

رجل (٣): حياتنا لمولانا السلطان

رجل (٤): أخرجوه لنا وإلا حطمنا الأبواب

المتهم : (يواصل حديثه من جديد بعدأن تغمره الإضاءة) لم أخلق في بيت سعيد.كان والدي أجيراً عند أحد الأمراء الذين يملكون كل شيء. كان يكد الليل والنهار..يذوب جسداً وروحاً في سبيل أن يضمن لنالقيمات تسد الرمق وتبعث في أجسادنا لمسة من دفء..ولم تكن أمي بأقل منه معاناة وعذاباً... فقد أوهنتها طلبات السيدة المبجلة حرم سيدنا الأمير ... ولم يرحم القدر طفولتنا فعرفت الشقاء - أنا وإخوتي - وعودنا لم يشتد بعد .. كنا جزءاً من من صف كبير يكدويشقى من أجل السادة..من أجل أن يأكلوا الحلوى ويلبسوا الحرير..من أجل أن يناموا على أسرةمحشوة بريش النعام .. ويتنزهوا في عربات بجياد مطهمة

الأهالي : (تعود الأضواء على الأهالي خلف شباك آخر على اليسار)

رجل (٥): لن ندع المجرم يهنأ بليلة أخرى

رجل (٦): ليعدم في الحال

رجل (٧): ليصلب في الحال

رجل (٨): لتمزق جسده النصال

المتهم : (تعود إليه الإضاءة) مازلنا نعيش الحضيض في أسوأ حالاته ،ومع هذا نحلم بالحياة الكريمة لأبنائنا.. أن يولدوا في عالم أفضل

..وأن يلبسوا مايقي أجسادهم شدة البرد.لم نجرب الحب .. لأننا لم نجدوقتاً نضيعه فيه كمايفعل الأمراءمع الأميرات بل كان حبنا الوحيد هو التصاقنا بعد نهار متعب بأجساد زوجاتنا ليولد طفل آخريضاف لصف العبيد (يغيرمن نبرته فيمتزج موته بالحزن والأسى) وبالأمس كنت ماراً من أمام قصر مولانا السلطان .. كنت أسير على غير هدى .. أبحث عن مصدر للرزق..وماشعرت إلا وأنامحاط بجنود غلاظ أجلاف ساقوني أمامهم وهم يضربونني بقسوةووحشيةفي كل جانب .. واتهموني بقتل مولانا.. هكذا ببساطة.. وعندمارفعت التهمة .. عذبوني .. أذاقوني ألواناً كثيرة من فنونهم واختراعاتهم في ميدان التعذيب..ولقنوني إعترافاً بارتكاب الجريمة. لماذا؟ أهناك من حاول قتل السلطان وأخطأفيحاول إلصاق التهمةبأي كان ليظهر براءته ويبعد عن نفسه الشبهات .. ومن هو .. من يكون ؟ ولمصلحة من ؟

الأهالي : (بعد أن تغمرهم الإضاءة)

رجل (٩): نريد أن نرى مولانا

رجل (١٠): لتطمئن قلوبنا

الوزير : (يظهرفي دائرة الضوءعلى حاجز مرتفع بعض الشيء)أيها المواطنون كلفني مولاي السلطان..أن أشكركم نيابةعنه..وأن أبلغكم إعتذاره عن مقابلتكم شخصياً ، لتأثره من جراء هذه المحاولة الغادرة

الجميع : الموت والفناء للمجرم الخائن

المتهم : (بعد أن تعود إليه الإضاءة)لن أدعهم ينالون مني بسهولة ولن تذهب حياتي هدراً .. (يصاب بقشعريرة الخوف من الموت) سأموت بطريق أو بآخر (في حقد) والمتآمرون الحقيقيون يضحكون الآن بملء أشداقهم..لأن الحظ ساق لهم سيءحظ أبله.ولكن أي أبله أنا!

الأهالي : (إضاءة .. ثم تتواصل ضجتهم)

رجل (١١): المجد والخلود لمولانا السلطان

رجل (١٢) : الموت للخائن

رجل (١٣) : الموت للمجرم

رجل (١٤) : شعبك الوفي معك إلى النهاية يامولانا

المتهم : (بعد أن تعود إليه الإضاءة) أن يسلب الضعيف حقه فهذا أمر شائع ..وأن يسرق خبز العبيد - أمثالنا - فهذا من حق السادة .. وأن تغتصب نساؤنا وبناتنا ،فهذا من مستلزمات الجاه والإمارة .. وأن يقتل عبد لأنه جاهر باليقظة أو عاند أو قال الحقيقة ،فهو تشبه حميد بسيد البلاد وحاميها وهو تقليد فيه دلالة على السلطان والمجد والقوة والحزم (بسخرية مرة) أما أن يفكر عبد مثلي في تسلق سور قصر مولانا السلطان .. فذلك إعتداء صارخ وجرم يجب أن يعاقب مرتكبه بالإعدام

الأهالي : (بعد الإضاءة تتعالى الصيحات)

رجل (١٥) : لن نذهب قبل أن نشهد نهايته

رجل (١٦) : يجب أن يقتل في الحال

الجميع : تأييد

الوزير : (مهدئاً) ففي الوقت الذي أكرر فيه شكري على نبالة شعوركم لأرجو أن تنصرفوا إلى بيوتكم وأن تناموا في هدوء ... وتأكدوا بأن العدل سيأخذ مجراه في الغد

رجل (١٧) : وما يمنع ذلك الآن

الوزير : ليس هناك مايمنع سوى رغبة مولانا التي أبت إلا أن تقام محاكمة للمتهم (يبدأ الأهالي في الإنصراف بالتدريج)

المتهم : وهل كانوا يؤخرون إعدامي لهذه الساعة لو لم أدخل في روعهم بأنني لست الوحيد المدبر لهذه الجريمة المزعومة ... ولن يكون إعترافي بأسماء البقية إلا إذا أقيمت محاكمة علنية يحضرها

الجميع ... كذبة صغيرة .. تعطيني فسحة من الوقت لأحيا ولو لبضع ساعات..كذبة صغيرة تضيف لحياتي عمراً جديداً وتظهر الحقيقة في زحام الكذب ..لأن الحقيقة تعرية للنفوس وكشف لما وراء الأقنعة التي تحتمي خلفها... كلنا... أنا... أنتم... هم...الكل يلبس قناعا..بل هي أقنعة عديدة .فهذا قناع لنفاق أهل الملك واليسار ... وذاك تنافق به المسكينات باسم الحب ... وهذا نخرج به في مظاهرات التأييد والمناصرة والإحتجاج لكل مشروع يطرح ..أوفكرة تذاع .. أقنعة كثيرة يختلط فيها التأييد والإقتناع بالسخط والإحتجاج والحب والكراهية والحياء واللاحياء .

فلألبس قناعا مثلمايلبسون (يظلم المسرح ثم يضاءمرةواحدة فنرى منظراً لساحة كبيرة على يمينها منصة ملكية مقامة على قوائم تمثل أقنعة مختلفة ..وعلى اليسار فضاء يقف به الأهالي .. وفي الوسط قناع كبير يتداخل ويمتزج مع أقنعة أخرى.الأعيان يصطفون على اليمين حول مقصورة السلطان والحرس ينظمون الصفوف ويشرفون على استتباب الأمن والنظام .. والكل في انتظار مقدم السلطان وزوجته ووزيره ورجال حاشيته وبالقرب من القناع الذي يوجد في وسط المسرح وفي آخر عمقه يوجد المتهم وهو لازال مقيداً)

رجل (١): يظهر أن الأمر جد خطير

رجل (٢): قيل إن صاحب الجلالة قد تعرض لمؤامرة من قبل هذا المجرم ... استهدفت قتله

عجوز : رجل المروءة والعدل يموت مقتولاً

رجل (٣): قبض عليه وبصحبته سلاح الجريمة

رجل (٤): حادثة فريدة

رجل (٥): لا يعقل أن يكون قد دبر لهذه الجريمة بمفرده

رجل (٦): هل تعتقد أن له شركاء

رجل (٥): (بخوف ..وهلع وهو يتلفت يميناً ويساراً حوله) وما أدراني أنا ..

أنا لم أقل ذلك ..لم تريد أن تلصق بي هذه التهمة ؟ حاذر فإن الريح تحمل الأخبار المدسوسة

رجل (٦): إنك تخاف من ظلك .. أيصاحبك الخوف لهذا الحد

رجل (٥): صحبة الخوف أهون من صحبة جدران السجن الرطبة .. وسياط السجان اللاذعة .. وأحيانا سيفه القاطع

رجل (٦): كل هذا لأجل كلمة

رجل (٥): نعم .. أتستهزىء بالكلمة .. وأي شيء غير الكلمة يورد صاحبها المهالك ؟

الحاجب : (يعلن قدوم السلطان وحاشيته) حضرة صاحب الجلالة مولانا السلطان

الجميع : عاش السلطان عاش العدل

رجل (١): الملكة لم تحضر

رجل (٢): لابد أن شيئاً مهماً قد أخرها

رجل (١): كأن لم تتم زينتها مثلاً

رجل (٢): أو أن اليوم ... (يضحكان) آه

السلطان: (لازال في طريقه إلى المنصة إلى أن يتخذ مكانه فيجلس الأعيان بعد جلوسه)

رجل (٣): الموت للخونة

رجل (٤): ليحرق المجرم

رجل (٥): سمعت أنهم أعدوا له مشنقة خصيصاً

رجل (٦): لابد أنها توصية

رجل (٥): ومن نوع ممتاز

رجل (٧): ولكن لماذا طلب محاكمته علناً ؟

رجل (٨): المسكين يأمل في العفو

رجل (٧): (باستهزاء) سيناله سريعاً

السلطان: (يقوم مخاطباً الجميع) ياشعبي الوفي ... يا أهل هذا البلد الطاهر الأمين ... إنني أستمد قوتي من حبكم لي ... وإيمانكم بحكمي ... ولكم شعرت -ولازلت أشعر-بالأسى والحزن لأن يكون تعرض حياتي للخطر سبباً في تألمكم...ولكن الذي أذهب عني ذلك الحزن ... هو ما سمعته ورأيته من تجديد تأييدكم وبيعتكم لي بصدق وحرارة ...ذلك التأييد الذي عبرتم عنه بطريقة يعجز لساني عن التنويه بها

الجميع : عاش السلطان العادل

رجل (١): الموت للمجرم الخائن

السلطان: (مواصلاً حديثه) منذ أن توليت أموركم آليت على نفسي أن أقيم بينكم العدل وأن أحافظ على دوامه

الجميع : يحيا العدل

السلطان: لذلك أمرت أن يحاكم المجرم أمام أعينكم كما عودتكم دائماً ولتكونوا على إطلاع بالحقيقة كاملة

المتهم : (لنفسه) إنه يكذب ببساطة

الجميع : عاش السلطان محب العدل ونصيره

رجل (٢): وليسقط المجرم الخائن مفرجاً في دمائه

السلطان: لتبدأ المحاكمة وليبدأ القاضي بطرح أسئلته

القاضي : (بعد أن يتخذ مكانه) باسم صاحب الجلالة أفتتح الجلسة

رجل (١): أعتقد أن هذا الوجه غير مألوس لدي

رجل (٢): ولا أنا

رجل (١): إذن

رجل (٢): فهو ليس من هنا

رجل (١): ومن يكون

رجل (٣): لا أدري

القاضي : (بعد أن هدأت الجلبة والضوضاء) ما اسمك يارجل

رجل (٣): لم يعرفوا اسمه بعد

رجل (٤): وما أهمية ذلك ما دام متهماً ؟

رجل (٣): سنعرف ذلك في الحين

القاضي : (يعيد السؤال بعد أن رأى صمت المتهم) ما اسمك ؟

رجل (٣): ها هو يتكلم

رجل (٤): أصمت ودعنا نسمع

المتهم : سمني أي شيء ... فأنا لست ممن يحفلون بالأسماء كثيراً

القاضي : أنت في حضرة مولانا السلطان يارجل ويجب أن تمتثل لأوامر المحكمة

المتهم : يكفي أن أكون متهماً بقتل مولانا السلطان ... أليس هذا كاف لتمييزي عن بقية البشر الذين يحملون أسماء مختلفة عني ؟

القاضي : أحذرك من هذا اللف والدوران

المتهم : (بتهكم)أما قلت يارجل وأنت بخاطبني..فليكن اسمي رجلاً مثلاً

القاضي : من أين أتيت ؟ (وهو يكظم غيظه)

المتهم : (بلا مبالاة) من بعيد يا سيدي

القاضي : (وقد نفذ صبره) أليس لهذا المكان من اسم ؟

المتهم : من مكان لا يهتم أهله كثيراً بالأسماء قدر اهتمامكم بها هنا

القاضي : ها أنت تعود لسفسطتك من جديد..تذكر بأنك في حضرة مولانا السلطان

رجل (١): كم هو مكار

رجل (٢): داهية

رجل (٣): بل هو أبله

المتهم : عندما أقول لك بأنه لا اسم للمكان الذي جئت منه ،فيجب أن تصدقني لأنني بذلك لا أذكر سوى الحقيقة ، فالأمكنة لاتسمى ولا يهتم بذكر أسمائها إلا إذا كانت مشمولة برعاية مولانا ، كأن يمر بها مثلاً في مشواره اليومي ...أو له فيها ذكرى من ذكرياته الجميلة أو مكان خفق فيه قلبه الطيب العادل بالحب لأول مرة ، لذلك لم يكن لمكاننا اسم ...لأنه ليس مما يثير في نفس مولانا ميلاً ولا إعجاباً

القاضي : إما أن تقول الحقيقة أو تجلد في الحين

المتهم : لا مفر من ذكر الحقيقة وخاصة إذا كان الخوف من لذع السياط يدفع المرء للإدلاء بها

القاضي : إن في ذكرك للحقيقة تسهيل لمأموريتنا... وتعجيل بإقامة العدل

المتهم : لنقل إنني من مكان أهله من أشد الناس إخلاصاً لمولانا السلطان

(ضجة .. ضحك .. دهشة)

رجل (١): بدأ يتهكم من جديد

رجل (٢): رجل مجنون

القاضي : لاتجعل صبر المحكمة ينفد

المتهم : ينفد .. أينفد صبرك سيدي القاضي ..وعدل مولانا يظلنا ويشملنا برعايته

القاضي : إذن تكلم .. ولا تستغل عدله

المتهم : سأتكلم .. سأقول كل ما تطلبون

القاضي : نريد إعترافاً كاملاً بالحقيقة

المتهم : لن ينقص منه حرف .. وإلا كان سوط الجلاد كفيلاً بإتمامه . فقط أطلب شرطاً واحداً

القاضي : شرط ؟

المتهم : شرط واحد لا غير ... مقابل إعترافي

القاضي : ليس لمجرم مثلك أن يطلب من مولانا شيئاً ولا أن يملي شروطه

السلطان: دعه يا قاضي القضاة (للمتهم) قل شرطك

المتهم : أن تضمن حياتي إلى نهاية إعترافي ... وأن لا ينفد صبر مولاي السلطان إلى أن يستمع إلي

السلطان: سيكون عدلي إلى النهاية .. وبلا حدود

الجميع : عاش العدل بلا حدود

القاضي : هيا أسرع يارجل وقل الحقيقة .. ولا تستغل طيبة مولانا وكرمه

المتهم :(لنفسه) الحقيقة . ومن منا لايرغب في معرفة الحقيقة ؟ إلا أنه توجدحقيقة واحدة في حياتنا ،فالحقيقة غول كبير يرهبناويرعبنا

القاضي : هيا يا رجل أسرع واعترف . ودعك من التفلسف

المتهم : مهلاً سيدي القاضي ... سأبدأ... فقط أصغوا إلي جيداً . لم تكن هذه المرة الأولى التي تسلقت فيها سور قصر مولانا (ضجة دهشة ..

استغراب)

رئيس الحرس : (يشعر بأنه أهين في عمله) أنت كذاب (للمتهم)

المتهم : عفوك سيدي الفاضل ..أنالم أتهمك بشيءولم أدون اسمك في صحيفة إتهامي

القاضي : إذن .. لم تكن هذه أول مرة

رجل (١): كان يترصد لمولانا

رجل (٢): يرسم الخطة ويحكم تفاصيلها

المتهم : بل مرات ومرات

القاضي : إذن كنت تدبر لجريمتك منذ زمن طويل ...

رئيس الحرس : أكذوبة حقيرة . يائس . حقير

السلطان: (وقد بدأ يداخله شك كبير في عدم كفاية حرسه)أين كان رجالك يا رئيس الحرس ؟ (موجهاً كلامه لرئيس الحرس)

رئيس الحرس : (وقد رأى أنه هالك لا محالة) إنه يفتري عليك يا مولاي .. أقسم لك بإخلاصي و حبي لك بأنه ما من أحد من رجال الحرس قصر في أداء واجبه

المتهم : هذا حق

رئيس الحرس : (مواصلاً) أو غادر مكانه قيد أنمله

المتهم : وهذا حق أيضاً .. فقد كنت متأكداً من وجودهم

رئيس الحرس : أما قلت لك يامولاي إنه يكذب ... هاهو يعود لذكر الحقيقة

المتهم : حتى إنني أصبت بفزع وخوف في أول ليلة تسلقت فيها سور القصر، إلا أنني تعودت آخر الأمر على شخيرهم

رئيس الحرس : يالللشيطان ، دعه يقسم على ذلك يا مولاي

المتهم : أقسم ... ولم لا (بسخرية) هل أقسم لك بحياتي (ضحك .. ضجة .. صيحات)

رجل (٣): ما زال رابط الجأش

رجل (٤): إنه يستهين بهم

رجل (٣): يتصرف وكأنه على موعد مع حبيبته وليس مع الموت

السلطان: (ثائراً) أيعني هذا أنني كنت محاطاً بحراس أغبياء ورئيس بليد أحمق

رئيس الحرس : زور وبهتان ...إنه يكذب يا مولاي

المتهم : ومافائدة الكذب، فليس في حياتي متسع من الوقت لأستمتع بنتائجه ألست أنت من الذين طلبوا مني الحقيقة كاملة ؟

رئيس الحرس : بل هي كذبة كبيرة

المتهم : (كأنه لم يسمع) لذلك فأنا لاأنقص ولا أزيد

رئيس الحرس : (في حزن وخوف يكاد يخالطه بكاء لولا شيء من مكابرة) مكر ودهاء

السلطان: أما قلت لي إنك أمسكت به وهو يحاول تسلق سور قصري ؟

رئيس الحرس : أجل يامولاي

السلطان: وأنت، أما قلت لي بأنه هو الذي حاول قتلي في الليلة الماضية ؟

رئيس الحرس : بلى يامولاي

السلطان: إذن لم تكن هذه المرة الأولى

رئيس الحرس : (وهو يستوضح أكثر) كيف يامولاي

السلطان: لأنه هرب في الليلة الأولى وأمسكتم به في اليوم التالي وهو يحاول تسلق السور من جديد

رئيس الحرس : (وقد أسقطفي يده) أجل يامولاي ولكن أقسم بأنه لم يجاوز هاتين المرتين

المتهم : ألم أقل لكم إنها مرات

السلطان: ستحاكم يارئيس الحرس بما يليق بيقظتك وسهرك على راحتنا ، أما رجالك الكسالى فسيكون لي معهم طريقة أخرى في العقاب. سينفون إلى أقاصي البلاد وسيحرمون من المرأة والطفل والعيش الرغد . سيعيشون على الكفاف إلى أن يشفوا من نومهم .. وليعودوا بعد عشرين عاماً

رئيس الحرس : عفوك يامولاي ... رحمتك

الجميع : عاش العدل

رجل (٢): عاش مولانا السلطان

رئيس الحرس : ليكن في سابق خدمتي وإخلاصي ما يشفع لزلتي هذه

السلطان: (بإشارة من يده) خذوه إلى السجن (يسرع بعض الجنود بتنفيذ أوامر السلطان ويقتادونه أمامهم بعد أن يجردوه من سلاحه)

المتهم : (وقد أطفئت الأضواء) هذه بذرة من بذور الشك زرعتها فنمت في الحين
فليسر سم الشك فيهم مسرى النار في الهشيم . إني أستمد سمي من ظلمهم لي.. وما أمره من سم ، ذلك الذي يكون وليد ظلم وأي ظلم أنا فيه

القاضي : (بعد أن تعود الإضاءة فتغمر كامل المسرح) لم تقل لنا بعد الغرض من تسلقك سور قصر مولانا السلطان

المتهم : خطوة خطوة ... وسنصل سيدي القاضي إلى ماتريد . ولكن ليس قبل

أن أذكر الجوانب المهمة التي تحيط بهذا الغرض. فالحقيقة إذا كانت بدون جوانب تكون كشيء لا طعم له

القاضي : هيا اعترف وقل لنا من هم شركاؤك

المتهم : (يلتفت يميناً ويساراً) كلهم هنالم يتأخر أحدمنهم عن الحضور

(صيحات ... استغراب ... دهشة)

رجل (١): يا للوقاحة

رجل (٢): يحضرون هنا ولا يداخلهم أي خوف

رجل (١): إذن هذا هو السبب في هدوئه ورباطة جأشه

رجل (٢): لابد أنه يأمل في المساعدة على نجاته

القاضي : هنا ... وفي هذه الساحة ... يوجد رفاقك ؟

المتهم : نعم ... هنا ... هناك ... بجانبك

القاضي : إذن حياة مولانا ما زالت في خطر

المتهم : ذلك ما تقول به الشواهد

القاضي : أي شواهد

المتهم : عندماكنت أتسلق السور في إحدى المرات...أرتب أمري وأعد عدتي ..استرعى سمعي وبصري في حديقة القصر،حديث كان يدور بين شخصين (يظلم المسرح ويضاء الجانب الأيسر عند نهاية المسرح حيث نرى شخصين لا نكاد نتبين ملامحهما ولكن نعرف من صوتهما أن أحدهما امرأة والآخر رجل)

الوزير : (هامساً) مولاتي .. ومليكة قلبي

الملكة : (مسلوبة الإرادة في وجد ودلال) قلبك فقط

الوزير : (جالساً بجانبها ، رأسه على ركبتيها) قلبي .. روحي .. بل كل

ذرة في كياني

الملكة : حقاً

الوزير : أتشكين في ذلك

الملكة : لا . ليس لي أن أشك في نواياك وإنما يجب علي أن أعرضها على مولاك السلطان ، فهو الوحيد القادر على تقويمها وتحقيقها بحد سيفه (تضحك ويدها تعبث بشعر رأسه)

الوزير : (يضحك هو الآخر لدعابتها) لن يكون سيفه بقادر على تحقيق أي شيء بعد الآن

الملكة : (تغير من لهجتها وتطبع صوتها بالجد) أخاف أن تفشل الخطة .. وينكشف أمرنا

الوزير : (بتصميم) لقد رسم كل شيء بدقة

الملكة : هل رجلك صاحب ثقة

الوزير : ومن يحفظ السر غير ميت

الملكة : حتى ولا أنا

الوزير : أنت عالم الأسرار والغموض كله (في رغبة) وإنما أقتلك بطريقتي الخاصة . وفي مكان خاص

الملكة : يا ماكر

الوزير : ألا يبحث عنك مولانا السلطان في مثل هذه الساعة من الليل ؟

الملكة : إنه يبحث في أمور تشغل باله كثيراً

الوزير : ألا يزال يجري وراء الصبيات ؟

الملكة : (ببطء وكأنها تتأمل) الرجل العادل يجري خلف الصبيات القاصرات؟ (وكأنها تفيق) عنوان ضخم يذاع على الشعب في صحيفة اتهام

السلطان بالظلم والتقصير

الوزير : (بسخرية) سأدافع عن مولانا

الملكة : بل أنا أحق بذلك

الوزير : إنه بلا شك سيكون دفاعاً مجيداً لم تشهد مثله ساحات القضاء

الملكة : لأسدد ما له من دين علي

الوزير : الغيرة تتكلم على لسانك

الملكة : (مشمئزة) الغيرة .. قد يكون أي شيء آخر إلا الغيرة .. فالغيرة تكون على من تحب .. لا على من تكره

الوزير : ألا أكون في يوم من الأيام جديراً بغيرتك علي ؟

الملكة : إذن لتختط سيرة مولاك

الوزير : لا ... لايا سيدتي . إمرأة واحدة .. وقلب واحد ... إن إمرأة واحدة عالم غامض يستغلق علي باب فهمه .. فما بالك بأكثر من واحدة ؟ من يفعل ذلك إنما هو غرابة

الملكة : (تضحك ..وقد أطربها وأعجبها قوله) (بعد لحظة) أشعر بكتفي تؤلماني من البرد .. أكاد أرتجف . سأدخل

الوزير : (وقد فطن للعبة) وأنا سأنصرف

الملكة : (في خيبة) تنصرف وتدعني مريضة ؟ يالقلبك القاسي

الوزير : لا تنسي أن تتغطي

الملكة : الغطاء فقط

الوزير : وماذا غير غطاء يمنحك الدفء ؟

الملكة : (ومازالت لم تخسر معركتها) ومن يحكي لي حكاية المساء ؟

الوزير : (أسقط في يده) متى تعوزك الحيل؟ سأتأكد من خلو المكان (يسير خطوات .. ثم يهمس) لا تنسي غلق الأبواب

الملكة : إلا باباً واحداً (تضحك بشهوة وهي تدخل في تثن ودلال)

(يضاء المسرح كله من جديد ميحات... هرج... دهشة... استغراب)

الوزير : أنت كذاب سافل أبله

القاضي : الويل لك إذا كنت تكذب

السلطان: (لنفسه مترددا بين الشك واليقين) ألهذا أعتذرت اليوم عن الحضور بحجة أنها مريضة (وقد تملكه الشك وسيطر عليه) مرضت لأن خطة قتلي فشلت... يالللعار... إمرأة داعرة تبيع شرفي وتدس لي مع وزيري الخائن
(تعود الأضواء فتغمر المكان كله .. ويعود إليه صحوه) هل الحقيقة ما تقول ؟

المتهم : كما وعدتك سيدي . الحقيقة كاملة

الوزير : ليقتل المتهم في الحال (يسرع حرس للقيام بذلك) ليقطع لسان الفتنة

السلطان: قفوا مكانكم . أنا الذي يعطي الأوامر هنا .. ولتصمت يا وزير المؤامرات والدسائس

الوزير : (بخوف) أتصدق يامولاي ما يقول هذا المجنون ؟

السلطان: (وقد استبد به جنون غريب) ألأنه أضاء لي مايحيط بي من فساد وعفونة وصفه بالجنون؟الآن فقط أدركت السر في إلحاحك بقتل هذا الرجل ليلة البارحة ، لتأمن أنت وتلك الخائنة على مشروع جريمتكما الخائب ولتطمئنا على دفنه إلى الأبد... ومع ذلك من يدري... فقد تفكرون في طريقة أخرى للخلاص مني ؟ أيها الحرس.. إقبضوا عليه (على الوزير) وألقوابه في غياهب السجن وليتله

سيفي بتقطيع جسده إرباً إرباً... أما شريكته الفاجرة فإن في بيتي من الخناجر المسمومة مايكفي لانتقامي منها (بعد أن يذهب الحرس بالوزير يستوقفهم السلطان) ولكن لا . قفوا أيها الحرس ودعوها أمام ناظري ولتكن نهايتك الليلة كخنزير بري، على نار قصري الحزين

القاضي : ثم ماذا هيا أسرع يامقدم الشؤم. نريد حقيقة أمرك أنت

المتهم : رويدك سيدي القاضي فأنا مثلك أتوق لمعرفة الحقيقة.. حقيقة أي شيء كان ... وخاصة إذا كان هذا الشيء مما يثير فيّ اهتماماً وما أشد كرهي الأشياء المبهمة التي لا أتوصل لمعرفتها

السلطان: هيا.. أريد معرفة حقيقة أمرك في الحال

المتهم : في الحال يامولاي ، وعندما كنت أتسلق سور قصر مولانا السلطان في إحدى المرات

السلطان: (في غضب)أليس هناك طريق آخر للإعتراف بدون ذكر حكاية السور؟

المتهم : وما ذنبي إذا كان هذا السور يلعب الدور المهم في الكشف عن حقيقة أمري

رجل (١): لا بد أنها مكيدة أخرى

رجل (٢): أو حقيقة

رجل (٣): عرف كيف ينتقم لنفسه

القاضي : تسلقت السور. ثم ماذا ؟

المتهم : وبينما كنت أتسلق السور في إحدى المرات (يتوقف)

القاضي : ثم ماذا ؟

المتهم : لا أستطيع أن أواصل

السلطان : أترفض الاعتراف

المتهم : لا .. ولكن ما سأقوله جد عظيم

السلطان : ليس هناك أعظم مما ذكرت

المتهم : بل هو أعظم

القاضي : ها هو يامولاي يعود مرة أخرى لسفسطته

السلطان : هنا .. قل وإلا أعدمتك في الحال

المتهم : حتى وإن كان هذا الأمر يتعلق بك شخصياً يا مولاي (ميحات ... همهمات .. دهشة)

رجل (١) : يتعلق بمولانا السلطان

رجل (٢) : لا بد أنها ورطة جديدة

السلطان : ليس هناك أمر شخصي أكثر مما ذكرت . فلتعترف

المتهم : بينما كنت أتسلق السور (تطفأ الأضواء لتغمر ابنة القاضي في الجهة اليسرى بجانب المقدمة)

ابنة القاضي: (جالسة يبدو عليها الحزن والكآبة في يديها عود يابس تخطط به الأرض في شرود وعلى غير هدى وكأنها تستطلع ما يكتنف مستقبلها من غموض. لنفسها في صوت ينبض بالألم والحسرة)ليت أبي وأدني ساعة مولدي ... ياللعار. ياللألم الذي سوف يسمم حياته وهو يرى ثمرة الإثم تزداد كبراً يوماً بعد يوم أمام ناظريه ... أواه مما أنا فيه ياللجحيم ... يا للشقاء .. يا للفاجعة تقترب ساعتها ... فعلت المستحيل لأسقط هذا الحمل .. جريت في الحقول .. تخطيت السواقي ... قفزت فوق الحواجز ... شربت الكثير من الأدوية وعصبت بطني بأكثر من رباط ... ولكن مامن شيء أسقطه عني... (تبكي) ياللنهاية الأليمة .أبي الشيخ الفاضل، يختم حياته بمأساة من صنع ابنته الحبيبة التي لم

يدخر وسعاً في تربيتها وتدليلها (تزداد حرقة) وإذا ما بحت بالحقيقة فمن يجرؤ على اتهام السلطان ومقاضاته (بإصرار) أيتها اللحظة المحرمة لن تغسلك إلا نهاية إحساس وشعور.ليمت وهني وضعفي و لتدفن روحي الشقية إلى الأبد و ليتمتع مولانا السلطان...وليحطم أحلاماً أخرى كأحلامي (تصاب بهستيرية وتنهض) أنا آتية إليك يامولاي السلطان...موعدنا عند البحيرة كالعادة ولكن ليس بجانبها هذه المرة بل في أعماق أعماقها (تسير بخطوات ثابتة)

القاضي : (يصاب بهزة ورعدة يخالطهما بكاء وقور) ابنتي... حبيبتي ... جنيت عليها يا ظالم

السلطان: (في غضب) لا. لا تصدقه (للمتهم) كذاب سافل حقير.أقتلوه في الحال

القاضي : (متمالكاً نفسه) لا... لا تقتلوه

الوزير : (في شماتة) الحق ما قال الرجل

السلطان: أتشهد ضدي.. أتفتري علي أنت الآخر ؟

الوزير : وماذا عساي أن أفعل وأنت حريص على أن يعلم الشعب بالحقيقة كاملة (تشتد همهمات وهمسات الأهالي ويعلو ضجيجهم)

رجل (١): كان السلطان يخدعنا

رجل (٢): كانت تبهرنا الكلمات

رجل (٣): كان يسمم حياتنا

السلطان: (يشتد خوفه) لاتصدقوه . إنه يكذب هو الآخر

القاضي : (مقتنعاً) أشعر بأنه لم يقل سوى الحقيقة

السلطان: دعك من هذه السخافات

القاضي : (متنمراً) كن شجاعاً يا سيدي واعترف بجريمتك

السلطان: (في تملق يريد أن يستميل الشعب إليه) ياشعبي الوفي الأمين

رجل (١): كلماتك لم تعد تخدرنا

رجل (٢): نريد معرفة الحقيقة

رجل (٣): وعودك البراقة ما عادت تنطلي علينا

القاضي (٤): دعوه يكمل

المتهم : ليأذن لي مولاي بذلك

السلطان: أسكت ياحقير ياذير الشؤم والخراب.. لاتصدقوه (للجماهير) إنه لا ينطق بغير الكذب

المتهم : نعم أنا أكذب. أكذب عليك بأمر مولاي السلطان ... ليس من حقكم أن تصدقوا إلا ما يصدقه مولانا.. ولتمت كل الكلمات الصادقة ما لم تمهر بختم مولانا

القاضي (١): السلطان لايملك هذا الحق

رجل (٢): نحن الشعب

رجل (٣): الكلمة كلمتنا

السلطان: الكلمة كلمتي والسلطة سلطتي . أنا الآمر هنا... ليس فيكم من يستطيع سلب هذا الحق مني

رجل (١): فقد السيطرة على نفسه

رجل (٢): بدأ العرش يهتز تحت أقدامه

رجل (٣): عفونة ظلم السنين الماضية تشعرني بالغثيان

رجل (٤): (صائحاً) لاسلطان بعد الآن

الجميع : (يرددون) لاسلطان بعد الآن

السلطان: إقبضوا عليه ... أسكتوه .. لاتدعوا العقارب تتوالد

القاضي : السلطان جن

السلطان: هذه مكيدة ... مكيدة نسجت خيوطها تلك العاهرة في ظلام الليل

رجل (١): الغسيل القذر على الحبال

السلطان: يا شعبي الوفي

القاضي : لا أحد يسمعك

السلطان: (بعد أن يجيل نظره ذات اليمين وذات اليسار يبحث عن بارقة أمل في كلمة تأييد أو هتاف) كان حبي يملأ كل القلوب

القاضي : كانت غشاوة على العيون

السلطان: (مواصلاً وكأنه لم يسمع) وكان عدلي يغمر كل مكان

القاضي : شعار بلا عمل

السلطان: لم تعرفوا العدل قبلي

القاضي : العدل مات على يديك ... قبر

السلطان: أنا من أنقذكم من ربقة الذل والعبودية .. أنا من صنع لكم كل هذه البطولات والأمجاد

المتهم : لا تنس أن تضيف أعياد ميلادك إلى قائمة الأمجاد والبطولات ففيها (موجهاً كلامه للجماهير) تتجلى براعة مولانا في الحنكة والتدبير وتظهر براءته من قتل سيدنا الشيخ

السلطان: أكذوبة أخرى حقيرة . لا تصدقوه

رجل (١): نريد معرفة القاتل

رجل (٣): هيا اعترف بإسمه

رجل (٤): لا تُخف شيئاً

رجل (٥): لن يمسك سوء

القاضي : هدوءاً يا سادة (للمتهم) هيا .. أكمل اعترافك

المتهم : بينما كنت أتسلق السور ذات مرة (تطفأ الأضواء لتغمر دائرة صغيرة في الجانب الأيمن حيث يقف السلطان والشيخ يتحادثان)

الشيخ : الشعب يموت يا مولاي ... قتله الجوع

السلطان: (كأن الأمر لا يعنيه) والعمل ؟

الشيخ : في يدك حياته يا مولاي

السلطان: (مندهشاً) في يدي أنا !! وأين هذه الحياة التي أملكها وأبخل بها عليه

الشيخ : في خزائنك يا مولاي

السلطان: خزائني .. خزائني خاوية

الشيخ : بها ما يسد الرمق لحين

السلطان: (في غضب) وألغي الاحتفال بعيد ميلادي

الشيخ : سيكون احتفال الشعب وفرحته بالخبز أكبر

السلطان: تعني أنهم يحبون الخبز أكثر من حبهم لي

الشيخ : لن يقصر عمر مولانا إذا ما ألغى الاحتفال بعيد ميلاده هذه السنة

السلطان: لن أسمح لك بالمزيد . إنك جاوزت حدودك

الشيخ : ليعذرني مولاي .. فأنا لا أريد سوى خير هذه الأمة و خيرك لذلك

فأنا أنصحك

السلطان: لست في حاجة إلى نصحك، ثم إنك لاتملك هذا الحق...أخرج من أمامي

الشيخ : (في طريقه للخروج) سأملك هذا الحق يوماً... سيملكه الشعب كله (يخرج)

السلطان: غير أنك لن تعيش لتفوز بهذا الحق (يضحك)

(تعود الأضواء فتغمر المسرح كله.. تتعالى صيحات الأهالي ويزداد الهتاف ضد السلطان)

رجل (١): كرامتنا هدرت

رجل (٢): أموالنا نهبت

رجل (٣): الشيخ الفاضل مات غدراً وغيلة

القاضي : ضحية أخرى بين ضحايا السلطان العادل

السلطان: (مذعوراً) لا ... لم أقتله

الوزير : (يتشفى) تشجع يا مولاي وقل الحقيقة . ألست أنت من أمر بقتل الشيخ ؟

السلطان: كذب (صائحاً) زور ... وبهتان

الوزير : بل حقيقة عشت وقائعها

السلطان: (شاخصاً ببصره إلى الوزير) عندما يحنث الرجل بوعده يصبح شيئاً لا قيمة له

الوزير : لم يكن وعداً بل كان خوفاً

السلطان: من كان يكتب لي خطبي... من كان يدبرلي لقاءاتي الغرامية . من كان يكمم الأفواه من حولي ... من جعل الانحناءة أمامي و تقبيل يدي طقوساً وعبادة ؟ .. ألست أنت من فعل ذلك ؟

الوزير : (متنصلاً) كنت سلطاناً ... وكانت الكلمة كلمتك

السلطان: كنت بوقاً من أبواق الفساد من حولي

الوزير : كان بإمكانك أن ترفض

السلطان: الرجل البطل يأتي في آخر لحظة ليكشف الحقيقة

الوزير : قتلت فينا البطولة حتى لم يعد بطل سواك

السلطان: بطولتي شرف لكم جميعاً

الوزير : كنت بطلاً لوحدك. كنت تشبع رغبة من رغباتك المحمومة

السلطان: إذن ... كان السوس ينخر في كل العظام

القاضي : وجرفك التيار

السلطان: (مدافعاً عن نفسه) لم يكن هناك أمل في الإصلاح

القاضي : ومع هذا خدعتنا

السلطان: انعدم الإخلاص من حولي

القاضي : لو بحثت عنه لوجدته وبكثرة ... ولكنك أسلمت زمام نفسك لأخوة الشيطان

رجل (١): حاكموه

السلطان: (بفزع) لا ... لم أكن وحدي

القاضي : ومع ذلك فأنت المسؤول الوحيد

رجل (٢): يجب أن يقتل

السلطان: لا .. ليس فيكم من يملك حق موتي

القاضي : أمام القضاء يتساوى السلطان والمملوك (موجهاً كلامه للجماهير)

الكلمة للشعب. لكم أيتها الجماهير

رجل (٣): الموت للسلطان

رجل (٤): أعيدوا للأرض طهارتها

رجل (١): أمنوا الناس على أعراضها

(تهجم الجماهير على المنصة فتنتزع السلطان من بين الأعيان وكبار رجال الدولة الذين يصيبهم الفزع فيهربون هناوهناك، ولكن الجماهير الثائرة تتعقبهم فتقتل من تقتل وتجرح من تجرح ويفر من يفر وبعد لحظات تنفرج الدائرة التي كانت قد تجمعت حول السلطان حيث نشاهده جثة هامدة ممزقة الثياب ملطخة بالدماء مطعونة في كل جانب ويلوذ الوزير بالفرار)

رجل (١): السلطان مات

الجميع : السلطان مات

رجل (٢): الكذب مات

الجميع : الكذب مات

رجل (٣): الظلم مات

الجميع : الظلم مات

(يبدأ الأهالي في الإنصراف كل إلى طريقه)

القاضي : (صائحاً) قفوا مكانكم ياسادة لم يحن بعد وقت الانصراف

رجل (١): السلطان مات

الجميع : السلطان مات

رجل (٢): العدل مات

الجميع : العدل مات

القاضي : لا لم يمت ...لازال العدل فكرة حية عند الرجال الشرفاء المخلصين

رجل (١): نريد العمل لا الفكرة

رجل (٢): قد شبعنا من الأفكار

رجل (٣): أتخمنا

القاضي : هذا هو رجلكم الذي يحمل الإيمان بالفكرة (مشيراً إلى المتهم) فامنحوه الفرصة للعمل

رجل (١): بطل يستحق التكريم

رجل (٤): أطاح بجبروت الظلم والطغيان

رجل (٥): حطم قيود الذل والعبودية

رجل (٦): جاهر بالحقيقة وأضاء ما كان يحيط بنا من ظلام

القاضي : إنكم لن تجدوا من يترجم أحاسيسكم...ويحقق أحلامكم وأمانيكم.. إن لم يمسك بزمام أمركم مثل هذا الرجل

المتهم : (بنفور) لا ياسيدي الفاضل. أقبل أن أكون أي شيء إلا أن أكون سلطاناً

رجل (١): ملك وفي يديه قيد

القاضي : هذا هو رجلكم فنصبوه

(يهجم الأهالي على المتهم يرفعونه على الأعناق ويضعونه على كرسي العرش ويرجعون إلى أماكنهم)

المتهم : ليتكم تعرفون حقيقة أمري

القاضي : نعرفك بمافيه الكفاية

المتهم : لاتعرفون حتى اسمي

القاضي : سيكون اسمك من الآن رجل الحقيقة

رجل (١): عاش رجل الحقيقة

الجميع : عاش رجل الحقيقة

القاضي : (للمتهم ناصحاً) كن عادلاً

المتهم : العدل صعب

القاضي : محمد كان أعدل الناس

المتهم : محمد نبي

القاضي : عمر بن الخطاب
أبوبكر الصديق
عمر بن عبد العزيز
لم يكونوا أنبياء

المتهم : المقارنة بيني وبينهم غير متكافئة... إنك تظلمني

القاضي : بل أشق فيك

المتهم : وبهذا يزيدني حملاً على حملي

القاضي : الرجال معادن ... وأنت أثمنها... هيا... قل كلمتك

المتهم : (مخاطباً الجماهير)
أيتها الجماهير الكادحة ...أنا لن أعدكم بالعدل لأن العدل كمال وأنا إنسان ناقص ... ولكني مع هذا سأحاول جاهداً أن أسد هذا النقص ...ولن أعدكم شبع البطون.. ولكن أعاهدكم بأن أكون آخر من يشبع فيكم ... لن أكون تاجر كلمات في المناسبات ... لسبب بسيط هو أنني لا أحسن هذه التجارة... ولا أملك عصا موسى أشق بها البحر وآتي بالمعجزات.. غير أن المعجزة الوحيدة التي أملكها هي أن أمد لكم يدي لتتشابك مع أيديكم ولتمنحني القوة والقدرة

على التغيير والسير بكم نحو حياة أفضل ... ومع هذا لا أعدكم بشيء ... لأنني لا أملك شيئاً بدونكم

رجل (١): بداية طيبة

رجل (٢): إن لم تنقلب الآية

رجل (٣): عاش رجل العدل والحقيقة

الجميع : عاش رجل العدل والحقيقة

(تطفأ الأضواء)

- ستار -